﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾ [الإسراء: 39]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبلَها:

الإشـــارة إلى جملة التّكاليف السّالفة، وأنّها مـــن مـقـتـضى الحكمة الموحاة

بعد أن تناولت الآيات السّابقة جملةً كثيرة منَ التّكاليف، وعددًا منَ الأوامر والنّواهي غير قليل، أشارت هذه الآية بعد ذلك إلى أن هذا كله الذي نصت عليه السّورة، هو مما أوحاه اللّه إلى رسوله، مما اقتضته الحكمة الربانية العالية فقال: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ فجمع في اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ بين "خمسة وعشرين نوعًا من التّكاليف"[1]، هي التي مضت بدءًا من قوله سبحانه: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء: 22] وما تلاه وصولًا إلى هذه الآية الكريمة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾: (حكم): أَصلٌ واحدٌ، وهو المَنعُ، وأَوَّلُ ذلكَ الحُكْمُ، وهو المَنعُ مِنَ الظُّلم، وَسُمّيَتْ حَكَمَةُ الدّابَّةِ لِأنَّها تَمْنَعُها، يُقالُ: حَكَمْتُ السَّفيهَ وَأَحْكَمْتُهُ، إذا أَخَذْتَ على يَدَيْهِ، والحِكمَةُ هَذا قياسُها؛ لِأنَّها تَمْنَعُ مِنَ الجَهل، تَقولُ: حَكَّمتُ فُلانًا تَحكيمًا مَنَعتُهُ عَمّا يُريدُ، وكُلُّ شَيءٍ مَنَعْتَهُ مِن الفَسادِ فقد حَكَمتَهُ وأَحْكَمتَهُ[2]، والحِكمَةُ أيضًا: إصابةُ الحقِّ بالعِلم والعَقلِ، فالحِكمَةُ من اللّه تعالى: معرفةُ الأشياء وإيجادُها على غايةِ الإحكام، ومن الإنسان: معرفةُ الموجودات وفِعل الخيرات[3]، والمقصودُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 343.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (حكم).
(3) الرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (حكم).

بـ﴿ٱلۡحِكۡمَةِۖ﴾ في الآية: مَعرفَةُ الحَقائِقِ على ما هي عليهِ دونَ غَلَطٍ ولا اشتِباهٍ، وتُطْلَقُ على الكَلامِ الدّالِّ عَليها[1].

2) ﴿فَتُلۡقَىٰ﴾: أَصْلُ (لقي): يَدلُّ على طرحِ شَيءٍ[2]، واللَّقيُ: الشَّيْءُ المُلْقى المَنبوذ[3]، والإلقاءُ: طَرحُ الشَّيء حيث تلقاه، أي: تراه، ثمَّ صارَ في التَّعارف اسمًا لكلِّ طَرحٍ[4]، ويُطلَقُ على الإفضاءِ بالكلامِ ﴿يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ [الشُّعراء: 223]، وعلى حُصولِ الشَّيءِ في النَّفْسِ كأَنَّ مُلقيًا ألقاهُ، أَي: مِن غير سَبقِ تهيُّؤٍ: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ [المائدة: 64][5]، والمُراد بالإلقاء: رَمْيُ الجِسمِ مِن أَعلى إلى أَسْفَلَ، وهو يُؤْذِنُ بالإهانَة[6].

3) ﴿مَلُومًا﴾: أصلُ (لَوَمَ): يَدُلُّ على العَتْبِ والعَذلِ، فاللَّوْمُ: العَذْلُ[7]، تقولُ: لامَهُ على كذا لَومًا ولَومَةً، فهو مَلومٌ ومليم؛ إذا أَتى ذَنْبًا يُلامُ عليهِ، قال تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢﴾ [الصافات: 142][8]، والتَّلاوُمُ: أن يلوم بعضُهم بعضًا، قال تعالى: ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ٣٠﴾ [القلم: 30][9]، واللّائِمَةُ: الأمر الَّذي يُلامُ عليه الإنسان[10]، والمقصود بالمَلوم في الآيةِ: الَّذي يُنكَرُ عليهِ ما فَعَلَهُ[11].

4) ﴿مَّدۡحُورٗا﴾: أَصلُ الدَّحْرِ: الطَّرْدُ والإبْعادُ، يُقال: دَحَرَ العَدوَّ، يَدْحَرُهُ دَحْرًا ودُحورًا، فهو مَدْحورٌ، وأَدْحَرَه، أي: أَبْعَدَهُ وطَرَدَهُ، والأَدحَرُ: المَطْرودُ والمُبْعَدُ، ويأْتي بِمعنى المَدْفوعِ بِعُنْفٍ، والأَهْوَنِ والأَذَلِّ، والمَقْذوفِ[12]، والمقصود بالمدحور في الآية: المَطْرودُ المُهانُ المُبْعَدُ مِن رَحمةِ اللّهِ تعالى في الآخرة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/ 160.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(3) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ، والزّبيدي، تاج العروس: (لقى).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 4/ 123.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 106.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لوم).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لوم).
(9) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (لوم).
(10) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات: (لوم).
(11) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 106.
(12) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (دحر).

❁ المَعْنى الإجماليُّ:

لمّا تمَّتِ الأوامِرُ والزَّواجِرُ على هذا الوجهِ الأحكَمِ، والنِّظامِ الأقوَمِ؛ أشار ﷻ إلى عَظيمِ شأنِه، ومُحكمِ إتقانِه، بقَولِه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ وفي ذلك دلالة على أنَّ هذه الأحكام والأوامِر والنَّواهي التي تَضَمَّنَتْها الآياتُ السّابقةُ، ممّا أوحَى إليك ربُّك تعالى يا مُحَمَّدُ ﷺ من الحِكمةِ؛ لِتَعمَلَ بها وتدعوَ النّاسَ إليها، فلا تجعَلْ مع اللهِ مَعبودًا غَيرَه، فتُرمَى في جهنَّمَ مَلومًا؛ تلومُك نَفسُك، ويَلومُك الخَلقُ، مُبعَدًا مَطرودًا مِن رَحمتِه ﷻ[1].

لا يصحّ مع الشِّرك عَملٌ، وليسَ للمُشرِكِ مصيرٌ إلَّا النَّار

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

غرض الافتتاح بـ﴿ذَٰلِكَ﴾:

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ هو بمثابة (الفذلكة) لما مضى، حيث جمع فيه وأجمل كلّ التّكاليف الماضية؛ وهي خمسةٌ وعشرون تكليفًا مبتدَأة بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾ [الإسراء: 22][2]، وقد أُشير إليها بـ (لام البعد) للدّلالة على علوّ مَرتبتِها وبُعد مقامها وارتفاعه، فهي تشريعاتٌ مُحكَمةٌ متقنةٌ؛ لأنّ الذي شرَعها هو الحكيم الخبير.

الفذلكة في الآية بالإجمال بعد التّفصيل

حرف الجرّ (من) ودلالته:

(من) في الآية: ﴿مِمَّآ﴾ للتبعيض؛ أيْ: ذلك بعضُ ما أوحاه إليه ربّك مِن خَزائِن حكمتِه الّتي لا تنفد أبدًا.

خزائن الله ملأى

غرض التّعبير بالاسم الموصول (ما)

في إيثارِ التَّعبير بـ (ما) في الآية: ﴿مِمَّآ﴾ دلالة على كَثرة ما

التّعبير بـ (ما) أجمع وأخصر

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 601، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 264، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 77، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 458.

(2) خمسة وعشرون نوعًا من التكاليف، بعضُها أوامر وبعضها نواهٍ ذكرها الله تعالى في هذه الآيات وجعل فاتحتها قوله: ﴿لَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾ [الإسراء: 22]، وخاتمتها قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ٣٩﴾، ولتفصيلها يُرجى الرّجوع إلى: الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 343.

أوحاه الله تعالى مِنَ التَّشريعات الحَكيمَةِ، ومنها ما في هذه السّورة، ممّا أجمل بعد تفصيل باسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾، ثمّ أجمل واختصر في التعبير بـ (ما)، كما يدلّ التّعبير بـ (ما) كذلك على سعة خزائن الحكمة الإلهية التي لا تنفد أبدًا، والتي منها وهب الله تعالى كلّ رسول مِن رسله عليهم صلوات الله وسلامه، ما يُلائم المخاطبين في زمانه من التّشريعات المحكمة، فغدت جميع الرّسالات الإلهيّة متّحدة الأصول، متنوّعة الشّرائع؛ ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم: 24].

دلالة التّعبير بالماضي ﴿أَوْحَىٰ﴾:

تعليل وجه علوّ هذه التّشريعات في الحكمة

في التّعبير بـ ﴿أَوْحَىٰ﴾ ما يُزيل وجه الاستغراب، ويُجيب عن سؤال: أنَّى لرجل أُمّيٍّ أن يَصدر عنه هذه التّشريعات الّتي تعلو عن طاقة البشر؛ فبان بهذا التّعبير أنّها ليست من البشر، ولكنّها من خالقهم، ولأجلها كان إرسال الرّسل، ليبلغوها إلى النّاس، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: 39].

غرض تقديم ﴿إِلَيْكَ﴾ على الفاعل ﴿رَبُّكَ﴾:

في الاهتمام بالمقدّم، إبراز للامتنان

جاء تقديم شبه الجملة ﴿إِلَيْكَ﴾؛ للاهتمام به، ولإبراز الامتنان[1] عليه ببيان أنَّ ما جاء به مِن تشريعات فائقة الحكمة مُحال أن تكون مِنَ البشر، بل هي مِن خالق البشر، وأنّها بعضٌ ممّا تشتمل عليه خزائن الحكمة، وأنَّها ممّا امتنّ الله به على الرسول ﷺ.

نكتة تكرار ضمير المخاطب:

الاهتمام تشريف وتكريم، للمهتمّ به في السّياق

في توجيه الخطاب إليه ﷺ مجرورًا في الأول ﴿إِلَيْكَ﴾، ومضافًا إليه في الثّاني ﴿رَبُّكَ﴾ دلالة على الاهتمام بشخصه ﷺ، وأنّ ذاته محلّ التّكريم والاهتمام والاعتناء، كما تدلّ الإضافة إلى اسم الرّبّ:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 106.

﴿رَبُّكَ﴾ على تشريفه ﷺ بهذه الإضافة، وبيان مكانته المنيفة عند ربّه ربِّه، الّذي أوحى إليه من الحكمة ما قد ذُكِر.

دلالة حرف الجرّ في ﴿مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾:

بـيـان المـعـاني المحتملة، دلالة ثراء المعاني

يحتمل فيها أن تكون: للبيان؛ والتّعلق حينئذ بمحذوف وقع حالًا من الموصول أو عائده المحذوف، أي: من الّذي أوحاه إليك ربّك (كائنًا مَن الحكمة)[1]، وهو المعنى الأنسب لمكان الوحي ومكانته.

أو تكون للابتداء، وفيه بيان لشرف المورد، وقيل: للتبعيض على أن معنى ﴿مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ بعض الحكمة[2]، لكنِ الّتي قبلها في ﴿مِمَّآ﴾ للتّبعيض، فيبعد أن يكون المعنى: ذلك بعض ما أوحاه اللّه إليك من بعض الحكمة.

غرض تعريف ﴿ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ بـ(الْ):

تـعـريـف (الـحـكـمـة) بغرض تعظيم أمرها

(أل) في ﴿ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ للجنس، وغرضها تعظيم أمر هذه الحِكمة، لكونها مِنَ اللّه تعالى، ولأنَّه إذا كان الذي علم منها بهذه الحكمة الفائقة، فكيف بجميعها؟

نكتة كون التّكاليف المشار إليها من الحكمة:

التّكاليف المشارُ إليها بقوله (ذلك)، كلّها من الحكمة باتّفاق كلّ الشّرائع

ذكرَ النَّظْمُ الكريمُ التّكاليف وسَمّاها حِكْمَةً؛ لأنّ حاصلها يرجعُ إلى الأمرِ بالتّوحيد، وأنواعِ الطّاعات، والإعراضِ عن الدّنيا، والإقبالِ على الآخرة، والعقولُ تدلّ على صحتها، وهي تكاليفُ حاصلة في جميع الشرائع الإلهية ولا تقبل النسخ[3].

دلالة الواو في: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾:

النّواهي كلّها نسق واحد، وجميعها وحي

الواو في قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾ عاطفة لهذه الجملة على جُمَل

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 173، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 74، والسَّمين، الدُّرُّ المصون: 7/ 358.

(2) السّمين، الدر المصون: 7/ 358.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 51.

النّهي[1] التي سبقت، فهي نسق عليها، ويكون ما بينهما بمثابة الاعتراض للتأكيد على أنَّ كلّ النّواهي مهابة معظمة لكونها وحيًا.

غرض التّعبير بأسلوب النّهي ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾:

تـوحـيـد الـلـه وعـدم الإشـراك به رأس الدّين

أسلوب النهي ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾ غرضه تأكيد عدم الاعتقاد في شريك للّه تعالى، أو بالأحرى "تأكيد مضمون جملة ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23]"[2]، ولذلك جاء الخطاب بصيغة الإفراد؛ وكأنّه موجَّه إلى كلّ فردٍ ممّن يُشرك باللّه تعالى.

دلالة مرجع الضمير في ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾:

خـطـاب الخـاصّ وإرادة الـعـامّ، دعـوة للتّواضع للخطاب الإلهيّ

الخطاب بقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾ عام لكلّ مَنْ يصلح له، فهو خطاب موجّه إلى غير معيَّن[3] كشأن المناهي السّابقة عليه، على ما هو الأرجح، فهو صالح لكلّ مَن هو أهل له، ممّن يشركون باللّه تعالى وفي توجّهه للخاصّ دعوة للتّواضع للخطاب الإلهيّ، إذ معناه أنّ النّبيّ ﷺ محلّ للنّهي عمّا لم يكن منه، فكيف يكون الحال بنهي من فيه المنهيّ عنه ؟

نكتة تكرار النّهي، عن اتّخاذ إله مع الله:

تـكـرار جـمـلـة الـنّـهـي تأكـيـدٌ لـلاهـتـمـام بالتّوحيد

أُعيد قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، على أنّه قد مضى نصًّا؛ لقصد الاهتمام بأمر التّوحيد، بتكرير مضمونه، وبما رتّب عليه من الوعيد، بأن يجازى بالخلود في النّار مُهانًا[4]..

سرّ وضع المَناهي بين الجملة المُكرّرة ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾

التّوحيد له حقّ التّقديم؛ لأنّ كـلّ الأعـمـال مترتّبة عليه

السّر في أنّ ما ابتدأ به المناهي في هذه السّورة في الآية (22)، ثمّ اختتمها به في الآية (39) هو قوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، هو الإشارة إلى أنّ التّوحيد مبدأ الأمور ومنتهاها، وهو رأس

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 106.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 106.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 106.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 106.

الأشياء وأساسها، والأعمال بدونه باطلة لا تفيد شيئًا[1]، و"هو رأس كلّ حكمة وملاكها، ومَن عدمه لم تنفعه حِكَمُه وعلومُه، وإن بذَّ فيها الحكماء، وحكّ بيافوخه السّماء، وما أغنت عن الفلاسفة أسفارُ الحِكَم، وهم عن دين الله أضلّ من النّعم"[2].

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾:

نـهـيُ المخاطب عـن الإشـراك في الـحـال والاستقبال

عبَّر النّظَم الكريم بالمضارع ﴿تَجۡعَلۡ﴾؛ لأنَّ النّهي كان عن واقع موجود وكائن، فالنَّهي مُسلَّطٌ على واقع الحال، وأيضًا لتأكيد عدم وقوعه في الاستقبال.

غرض تقديم ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ على المفعول به ﴿إِلَٰهًا﴾:

التّقديم للأهمّ، ولكونه المقصود بالخطاب

قدَّم قوله: ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾ على المفعول به ﴿إِلَٰهًا﴾؛ لكونه الأهم، ولأنّه المقصود بالخطاب، فالنّهي مُتَّجه إلى إيجاب عدم الشرك به سبحانه، بغضِّ النظر عن هذا الشريك المُتَخَذ، فليس هذا محل الاهتمام.

معنى الفاء ودلالتها في ﴿فَتُلۡقَىٰ﴾:

بيان أنّ أسباب النّهي تحريض عـلـى سـرعـة اجتناب المَناهي

فالفاء مع كونها عاطفة ومُفيدةً للتّرتيب والتّعقيب هي مفيدة للسّببيّة الدّالّة على أنّ هذا الجزاء وهو الإلقاء في جهنم، مُسبَّب عن جعلهم لله شريكًا، ونتيجةً حتميةً مُرتبةً عليه، وفي التّحذير من ارتكاب المنهيّ عنه، إلهاب على الإسراع في تركه.

دلالة التّعبير بالفعل ﴿فَتُلۡقَىٰ﴾، مضارعًا مبنيًّا للمفعول:

حتمية الإلقاء، وأنّـه بقوّة قادر قاهر فوق عباده

في التّعبير بالفعل مضارعًا مبنيًّا للمفعول ﴿فَتُلۡقَىٰ﴾، وهو جوابٌ لجملة النّهي، دلالة على حتميّة هذا الإلقاء في جهنم، وأنَّه بقوة قادر قاهر فوق عباده لا يستطيع المشرك عنه فكاكًا، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١﴾ [الشّورى: 31]، وفيه

(1) الصّاوي، حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين: 2/ 323.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 688.

من الدّلالات كذلك "الجري على سنن الكبرياء، وازدراء بالمشرك وجعله كخشبة يأخذها من كان، فيلقيها في التّنور"[1].

سرّ تقييد الإلقاء بشبه الجملة ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾:

التّأكيد على مصير المشركين البئيس، تحريض لهم على الانتهاء عن الشّرك

في تقييد الإلقاء بشبه الجملة ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾، قطع لأيّ احتمال آخر، ونفي لأيّ أمل يمكن أن يمرّ على خواطر المشركين في هذا الشّأن، كما أنّ فيه تيئيسًا لهم، وكلّ ذلك ممّا يلهبهم للانتهاء عن الشّرك.

سرّ التّعبير بـ ﴿جَهَنَّمَ﴾، دون غيره:

اسم جهنّم جامع للإيلام الجسديّ، والإيلام النّفسيّ

وفي النّص على ﴿جَهَنَّمَ﴾ دون أيّ اسم آخر من أسمائها، دلالة على أنّهم سيجمعون بين عقابين: هما الإيلام الجسديّ، والإيلام النّفسيّ بالتّجهّم الّذي سيلاقونه في جهنَّم.

سرّ التّعبير بحالي الملقى ﴿مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾:

تعدّد أحوال العقاب، تفظيع للشّرك المُسبّب لذلك

عبَّر بحالي الملقى ﴿مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، إشارة إلى الجمع بينهما في العقاب، أي: بين اللّوم المفهوم منَ الحال ﴿مَلُومًا﴾، والطّرد المفهوم منَ الحال ﴿مَّدْحُورًا﴾.

الموازنة بين الآيتيْن (39) و(22) من السورة:

المقابلة بين وصفي كلّ آية منهما وحاليهما

عند الموازنة بين (الملوم) و(المذموم) في قوله تعالى هنا: ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، وقوله سبحانه في الآية الأخرى: ﴿فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء: 22]، نجد أنَّ المذموم يُذكر له قُبح الفعل الّذي أقدم عليه وكونه منكرًا، وإذا ذكر له ذلك، فبعد ذلك يُقال له: لم فعلت مثل هذا الفعل، وما الّذي حَمَلَكَ عليه، وما استفدتَ من هذا العمل إلّا إلحاقَ الضّرر بنفسك؟ وهذا هو اللّوم، فثبتَ أنّ أوّل الأمر هو أن يصير مذمومًا، وآخره أن يصير ملومًا.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 75.

الموازنة بين ﴿مَّدۡحُورًا﴾ و﴿مَّخۡذُولًا﴾

المخذول هو الضّعيف، يُقال: تخاذلت أعضاؤه؛ أيْ: ضَعُفَتْ، وأمّا المدحور فهو المطرود، والطّرد عبارة عن الاستخفاف والإهانة، قال تعالى: ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩﴾ [الفرقان: 69]، فكونه ﴿مَّخۡذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء: 22] معناها أنه متروك إعانته ومُفوَّضٌ إلى نفسه، وكونه ﴿مَّدۡحُورًا﴾ يعني أنّه مُهانٌ ومُستخفٌّ به، فثبت أنّ أوّل الأمر أن يصير مخذولًا، وآخره أن يصير مدحورًا"[1].

سبب إيثار ﴿مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾ ثم ﴿مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾

أوثر في الآية الأولى: ﴿مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء: 22] وفي الثانية ﴿مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾ ليجمع لهم بين عقاب الدّنيا وعقاب الآخرة، فقوله: ﴿فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا ۝٢٢﴾ [الإسراء: 22]، هو في عقاب الدّنيا، وقوله: ﴿فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا﴾ هو في عقاب الآخرة[2].

نكتة ترتيب الحالين في السّياق:

اللّوم مُقدَّم على الطّرد في الواقع

قدّم البيان القرآني ﴿مَلُومًا﴾ على ﴿مَّدۡحُورًا﴾؛ لأنّ اللوم مُقدَّم على الدَّحر والطَّرد، فالإنسان يعاتب أولًا: لم فعلت كذا؟ وبعد أن يُسقَط في يده فلا يحير جوابًا؛ لانعدام الحجة، يأتي بعد ذلك الحكم بالطَّرد والدَّحر.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الجعل والأخذ:

كلا الفِعْلين من أفعال التّصيير من (أخوات ظنَّ)، والجَعْل أعمّ وأشمل

الجَعل: لفظ عامّ في الأفعال كلّها، وهو أعمّ من فعل وصنع وسائر أخواتها، في إيجاد شيءٍ من شيءٍ، وتكوينه منه، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا﴾ [النّحل: 72]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 344، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 51.
(2) مفاتيح الغيب: 20/ 344، والبحر المحيط: 7/ 52، والكرمانيّ، متشابه القرآن، ص: 164.

لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَانٗا﴾ [النّحل: 81]، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا﴾ [الزّخرف: 10][1].

الأخذ: حَوز الشّيء في الأثناء بغلظ، أي: قبض بقوّة، وقد جاء أكثر (أخذ)، بمعنى القبض الحقيقيّ أو المجازيّ، والاتّخاذ افتعال منه، فيقال: (اتّخذ) وما تصرّف منها، وقد بلغ في القرآن الكريم (نيفًا ومائة مرّة)، وأصل معناها أخذ - الشّيء - لنفسه فهي قبض أيضًا[2].

وعلى هذا فالجعل أعمّ من الاتّخاذ وأوسع دلالة؛ لأنّ الاتّخاذ هو القبض بقوّة، وأمّا الجعل فيشمل ما هو أقلّ منه، ولذا فالنّهي بالجعل أنسب؛ فالنّهي عن الشّرك باللّه يشمل ما كان على مستوى الاعتقاد التّامّ في الشّركاء من دون اللّه، ويشمل ما هو أقلّ منه، ولو تدنّى إلى مستوى الرّياء فقط أو عدم الإخلاص، فكلّ ذلك منهيّ عنه ومشمول في ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ﴾.

الإلقاء والرّمي:

الإلقاءُ: طرح الشّيء حيث تلقاه، أي: تراه، ثمّ صار في التّعارف اسمًا لكلّ طرح[3]، ويبدو من قول الرّاغب: "حيث تراه" أنّه يعني طرح المُلقى في مكان بحيث يُرى للرّائي؛ لأنّ رؤيته مُلقًى في النّار يتقلّب فيها، ويُكبكَب هو من مظاهر إيلام المعذَّب نفسيًّا، وعلى هذا فالتّقارب الدّلالي ظاهر جدًّا بين اللّفظين، لكن يتميّز الإلقاء بدلالته على كونه في مرمى النّظر والرّؤية.

الإلقاء يُشعر بالقرب حدَّ الرّؤية بالعين، والرّمي قد يكون بعيدًا

والرَّمْيُ هوَ نَبْذُ الشَّيْءِ[4]، وهو يقال في الأعيان كالسّهم والحجر، نحو: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، ويقال في

(1) الرّاغب، المفردات: (جعل)، والكفويّ، الكليات، ص: 347.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (أخذ).
(3) الرّاغب، المفردات: (لقي).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رمى).

المقال، كناية عن الشّتم كالقذف، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [النّور: 6]، ﴿يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ [النّور: 4][1]، وقد يُفهم من لفظ (الرّمي) الدّلالة على البعد، ولذا يقال لما يلقى بقاذف كالنِّبال: (رمي)، فيقال: رمى سهمه، إذا قذفه تجاه صيده أو نحوه.

جَهَنَّمُ والنّارُ:

كلاهما اسمٌ لدار العذاب، واسمُ (جهنم) يزيدُ بمعنى التّجهُّم والعبوس

قيل: إنّ اسم جهنّم مُعرَّب، وأصله فارسيّ[2]، وعلى القول بأنّه عربيّ، فهو مُشتقّ من الجَهْم أو الجهومة، وهو الشّيءُ المخوِّف العابس الكريه[3]، وعندئذٍ يكون ما يحمله لفظ (جهنّم) من معنى الكراهيّة والبُغْض والخوف، هو مسوِّغ اختياره هنا؛ فلكونهم أشركوا بالله، وجعلوا لهم إلهًا آخر من دونه، فليتحمّلوا حرَّ نار جهنّم الّتي يحمل اسمها صفة التّجهُّم والعبوس، جزاءً لشِرْكهم بالله، وكُفرهم بما أوحاه إليك من الحكمة.

(1) الرّاغب، المفردات: (رمى).

(2) الرّاغب، المفردات، والجوهريّ، الصّحاح: (جهنّم).

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/ 272، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 10/ 326، والشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 7/ 4138.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»